الفصل الخامس

أسطورة المعجزة الإسرائيلية

مزاعم الصهيونية حول هذه الأسطورة

تحاول ماكينة الدعاية الصهيونية الترويج لأسطورة أن نجاح اليهود في إقامة دولة إسرائيل على جزء من أرض الميعاد رغم العداء الغربي (المتمثل في ألمانيا النازية) والعربي والإسلامي لليهود ، ونجاحهم في هزيمة كل الجيوش العربية قاطبة ذات العدد والعتاد (٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٨٢) تعد الدعاية الصهيونية كل هذا أسطورة خارقة ما كان لها أن تتحقق إلا لشعب الله المختار الذي حافظ على نقائه الجنسي لأكثر من ثلاثة آلاف عام ، والذي يستحق وعد إلهه " يهوه " بأن ينصره على أعدائه من الأغيار ويعيده إلى أرضه التي وُعِد بها أجداده ، وتَحَقُق الوعد على أيديهم هم لذا لا يستحقون العودة إلى الأرض الموعودة فحسب بل الخلاص على يد الماشيخ المخلص في آخر الزمان أيضا .

وهذه الأساطير الموغلة في الباطل الذي عمل على إشاعتها ، وتصديق البعض لها هو تمكن اليهود الصهاينة بالفعل من إقامة دولة إسرائيل ، ومن هزيمة العرب ، ونجاحهم في إقامة دولة عصرية متقدمة وسط دول عربية رجعية متخلفة .

وهذا النجاح جعل الجماعات الدينية غير الصهيونية في إسرائيل وخارجها التي كانت تؤمن أن خلاص الرب " يهوه " لشعبه المختار إنما يتم على يد الماشيخ المنتظر وليس لليهود أن يسعوا لتحقيق هذه الوعود (العودة لأرض الميعاد ، والخلاص) بأنفسهم إنما عليهم انتظار الماشيخ .

إن النجاحات التي حققتها دولة إسرائيل جعلت هذه الجماعات الدينية غير الصهيونية تراجع مواقفها وتؤيد دولة إسرائيل رغم أنها كانت من قبْل تعارض

خروج اليهود من الجيتو والاختلاط بالأغيار ، كما كانت تعارض بشدة الأفكار الصهيونية وتعدها خروجًا على التعاليم الدينية .

لقد تأثرت هذه الجماعات اليهودية غير الصهيونية داخل إسرائيل وخارجها بـ «المعجزات والإشارات السماوية» التي تجلت بانتصار دولة إسرائيل في الحروب المختلفة، وخصوصاً حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧. وقد كانت هذه الجماعات تعتمد في تأكيدها على عدم قدسية دولة إسرائيل، على الفارق بين دولة إسرائيل (السياسية العلمانية) ، وأرض إسرائيل (الدينية السلفية الراديكالية) . لكن بعد الانتصار الكبير الذي حققته دولة إسرائيل عام ١٩٦٧، زال الفارق عملياً، وأصبح هناك تطابق بين أرض إسرائيل وهي مفهوم ديني سلفي راديكالي وبين دولة إسرائيل وهي مفهوم سياسي علماني ، وزاد اقتراب هذه الجماعات تدريجياً من الأوساط اليمينية في إسرائيل ، أو اللوبي اليهودي خارجها .

ومع أن هذه الجماعات اليهودية ما زالت غير صهيونية بالمعنى التقليدي، إلا أن تحوُّل أرض إسرائيل إلى قيمة دينية في نظره، جعله يقترب كثيراً من مواقف اليهود الصهاينة السياسية العلمانية .

لقد ظلت أكثرية التيارات والجماعات الدينية اليهودية تحافظ على موقف غير صهيوني من المشروع الصهيوني . ولكن هذه التيارات بدأت بعد إعلان الدولة الصهيونية تنقاد بالتدريج للتعايش مع المفهوم الصهيوني للعودة. وبعد حرب ١٩٦٧، بدأت أحزاب دينية صهيونية عديدة تنظر إلى نتائج هذه الحرب باعتبارها معجزة و"إشارة ربانية" إلى بداية الخلاص، وأن دولة إسرائيل ما هي إلا مقدمة مجيء الماشيِّح المخلِّص، مضفية بذلك على دولة إسرائيل سمات دينية مشيحانية. بل اعتبرها البعض استجابة لنداء الرب، بل هي "الإرادة الإلهية نفسها" (على حد تعبير الحاخام كوك الأب الروحي لحركة جوش إيمونيم) .

وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق الصوت الجديد من الولايات المتحدة، موطن زعيم حركة حبد، الحاخام شنيرسون. ويتلخص الموقف الجديد بالقول بأنه صحيح أن دولة إسرائيل بوصفها كياناً صهيونياً تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله، ولذلك فهي بالتأكيد ليست تعبيراً عن الخلاص لكن ومن ناحية أخرى، فإن أرض إسرائيل بسيادة يهودية تنطوي على مغازٍ ذات أهمية. ولذلك تدعو هذه الحركة إلى عدم التنازل عن أيٍّ من الأراضي التي احتُلت عام ١٩٦٧، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية . [1]

الرد على أسطورة المعجزة الإسرائيلية

والحقيقة إن نجاح اليهود في إقامة دولة صهيونية على الأراضي العربية ليس بمعجزة إسرائيلية إنما هو خيبة عربية ، ومؤامرة غربية ، والدارس لتاريخ دولة إسرائيل تتبدى له هذه الحقيقة جليَّة ، ولكن اليهود الصهاينة وكعادتهم الدائمة يحاولون إضفاء القداسة على كل أعمالهم ولو كانت أعمالاً دنسة .

و" يهوه " نفسه يحذر اليهود عند انتصارهم من إضفاء القداسة على هذا الانتصار أو إدِّعاء جماعة اليهود الصلاح .

" لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم : " لقد أدخَلَنَا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا " . إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم . إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم " (التثنية : ٩)

أسباب انتصار إسرائيل على العرب

إن تغلب الإسرائيليين على العرب وقهرهم لهم لم يكن بسبب صلاحهم وإقامتهم للتوراة إنما كان بسبب فساد العرب وتخليهم عن دينهم وعن السعي المخلص لدنياهم

---

[1] د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ : " إشكالية معاداة اليهود " مرجع سابق .

فابتلاهم الله تعالى باليهود الصهاينة الذين أحسنوا الأخذ في أسباب التقدم ، والاستفادة من المشروع الغربي .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيها اليهود والعرب جميعا ، وهي أن انتصار اليهود لم يكن مرجعه طاعة الله وإنما أخذهم في أسباب التقدم ، وتخلي العرب – أكثرهم - عن الدين الصحيح ، وإهمالهم لأسباب التقدم والعدل والحرية .

وتوراة اليهود نفسها تصرح بهذا .

" إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم " (التثنية : ٩)

والقرآن الكريم يصرح بهذا في مواضع كثيرة منها قوله تعالى :

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور: ٥٥)

فيبين الله تعالى في هذه الآية المباركة أن الله وعد ، ومن أصدق من الله قيلاً ، الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقاموا بما فرضه الله عليهم من عبادة له جل وعلا وتعمير لأرضه وعدهم بأن يجعلهم خلفاء الأرض ويمكن لهم دين الإسلام ويفضلهم على العالمين ، كما حدث لبني إسرائيل من قبل ، بشرط أن يعبدوا الله كما أمر في كتابه وسنة نبيه .

{ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } أي فمن خرج عن طاعة الله بعد ذلك، وارتكب ما نهى الله عنه فأولئك لا نصر لهم من الله " فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بأوامر الله عزَّ وجلَّ، وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم،

أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا سائر العباد والبلاد، ولما قصّر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهروهم بحسبهم . (١)

فبإثمنا لا بصلاحهم عاقبنا الله بهم فهم جبناء تؤثر فيهم أدنى مقاومة ، وتفزعهم أية قوة ، وتاريخهم يشهد بذلك ، فحرب السادس من أكتوبر أذلت كبرياء إسرائيل ،وقطعت يدها الطويلة ، وفي خلال ست ساعات أصبح خط بارليف الحصين أثراً بعد عين .

مسلمو العرب والجيتو العثماني

إن الدولة العثمانية التي بسطت نفوذها على البلاد العربية منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي في بداية أمرها كانت تسير وفق السنة آخذة بشروط التمكين وأسبابه أما في أواخر عهدها فقد انحرفت عن شروط التمكين ، وابتعدت عن أسبابه المادية والمعنوية .

فلقد انحرف سلاطين الدولة العثمانية المتأخرين عن شرع الله فلم يقوموا بعبادة الله على الوجه الصحيح الذي يطهر القلب ويزكي النفس ويسمو بالأخلاق ، ولم يأخذوا في أسباب العلم النافع الذي يعمر الأرض ويصلحها ، ولم يسيروا في البلاد التي حكموها سير الخلفاء الراشدين بل ساروا فيها سير الحجاج بن يوسف الثقفي فكثرت الاعتداءات الداخلية بين الناس وتعرضت النفوس للهلاك، والأموال للنهب، والأعراض للاغتصاب بسبب تعطل أحكام الله فيما بينهم، ونشبت حروب وفتن ، وبلايا تولدت على أثرها عداوة وبغضاء لم تزل عنهم حتى بعد زوالهم، وأصبحت شوكة الأعداء من الروس والإنجليز والبلغار والصرب وغيرهم تقوى وتحصلوا على مكاسب كبيرة، وغاب نصر الله عن السلاطين والأمة العثمانية، وحرموا التمكين ، وأصبحوا في خوف وفزع من أعدائهم، وتوالت المصائب ، وضاعت الديار، وتسلط الكفار.

(١) تفسير ابن كثير ج٦ ص ٨٠ .

وكان نتيجة ذلك أن حاول بعض الحكام المحليين الاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية بإطالة فترة حكمهم ومحاولة تأسيس أسر محلية (المماليك في العراق، آل العظم في سوريا، المعنيون والشهابيون في لبنان، محمد علي في مصر، ظاهر العمر في فلسطين، أحمد الجزار في عكا، علي بك الكبير في مصر، القراملیون في ليبيا)(١) وهذا الصراع بين الحكام المحليين والدولة العثمانية ساهم في إضعافها ثم زوالها وسقوطها .

واللافت للنظر أن السمات التي اتصف بها يهود الجيتو وهي : العزلة ، والمفهوم الاستعلائي للدين ، والتناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية ، تكاد تنطبق على كثير من مسلمي العرب ابتداءً من الغزو العثماني حيث بسط العثمانيون سلطانهم على شبه الجزيرة العربية ومعظم شمال أفريقيا .

عزلة المسلمين في الكهف العثماني

إذا كان الأوربيون قد فرضوا على اليهود الجيتو اتقاءً لفسادهم فإن العثمانيين قد فرضوا على الشعوب العربية الجيتو رغبة في تخلفهم فقد عملوا على عزل البلاد العربية عن الاتصال بغيرها من الأمم الغربية التي كانت آخذة في النهضة : سياسيًّا واقتصاديًّا وعلميًّا ، وكان يمكن أن يستفيد العرب من تلك النهضة كما استفاد الأوربيون من النهضة العربية من قبل لكن الحكم العثماني كان سيئاً " فهو حكم أجنبي جامد متخلف أسدل على الشرق العربي أستارًا من التخلف والتأخر في كافة المجالات ونواحي النشاط " (٢)

وإذا كانت الجماعات اليهودية في أوربا تمثل الفئة المستعبَدة من قِبَل الطبقة الأرستقراطية ، فإن العرب كانوا كذلك بالنسبة للحكام العثمانيين مع فارق جوهري

(١) انظر: العالم العربي في التاريخ الحديث، د. إسماعيل ياغي، ص٩٤.
(2) د . محمود صالح منسي " حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي " ص ٣٤

وهو أن العرب لم يكونوا يعيشون في المنفى كاليهود بل كانوا أصحاب الأرض الأصليين .

كان المجتمع في نظر العثمانيين ينقسم إلى طبقتين : الحكام الأتراك والرعية المحكومين ، ومهمة الطبقة الثانية خدمة الأولى أي أن الأتراك صاروا طبقة أرستقراطية حاكمة منعزلة عن بقية المجتمع وترفعوا عن الاتصال به . كما أحاط العثمانيون بلاد الشرق بسياج منيع من العزلة رغبة في الإبقاء عليها تحت حكمهم خاصة بعد أن فشلوا في طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي أو القضاء على نشاطهم في المحيط الهندي أو إيقاف تحول التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح وإعادتها إلى طريقها القديم . وبذلك انقطعت الصلات السياسية والاقتصادية والحضارية بين العالم والشرق العربي الذي أوصدت أبوابه في وجه الحضارة الغربية التي كانت تسير مسرعة في طريق التقدم منذ القرن السادس عشر . (١)

المفهوم الاستعلائي للدين

إذا كان المسلمون الأوائل لم يمنعهم اعتزازهم بالإسلام أن يخالطوا الشعوب الأخرى ويتعلموا منهم ما ينقصهم من شئون الدنيا والعلم فـ " الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا " (رواه الترمذي وابن ماجة) فإن المسلمين في عصور التخلف سيطر علي كثير منهم الاستعلاء الديني العنصري فتوهَّموا أنه بسبب كونهم مسلمين ، وإن كان بالاسم فقط ، أصبحوا خير أمة أخرجت للناس ، وأن بلادهم بلاد الإيمان وما عداها فبلاد الكفر والشرك !! وأن الخير كل الخير في اعتزال هؤلاء الكفرة وعدم الاختلاط بهم والاستفادة من حضارتهم ، وكأن المسلمين هم شعب الله المختار ، ميزهم بأفضل دين ، وفضلهم بأعظم نبي ، وخصهم وحدهم بشفاعته يوم القيامة ، فَلِمَ العمل والسعي وقد فضلهم الله على العالمين ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة أيضا ؟

(١) نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .

وهكذا استقر هذا الفهم المغلوط لدين الله الحنيف في عقول كثير من المسلمين في عصور الضعف والانحطاط .

هناك حقيقة أولية عن طبيعة هذا الدين، وطريقة عمله في حياة البشر .. حقيقة أولية بسيطة ولكنها مع بساطتها، كثيراً ما تنسى، أو لا تُدْرَك ابتداءً . فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جسيم في النظر إلى هذا الدين : حقيقته الذاتية وواقعه التاريخي . حاضرة ومستقبله كذلك !

إن البعض ينتظر من هذا الدين ، ما دام منزلاً من عند الله ، أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب ! ودون أي اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقاتهم الفطرية، ولواقعهم المادي، في أي مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم .

وحين لا يرون أنه يعمل بهذه الطريقة، وحين يرون أن الطاقة البشرية المحدودة، والواقع المادي للحياة الإنسانية، يتفاعلان معه، فيتأثران به ، في فترات ، تأثراً واضحاً، على حين إنهما في فترات أخرى يؤثران تأثيراً مضاداً لاتجاهه، فتقعد بالناس شهواتهم وأطماعهم، وضعفهم ونقصهم، دون تلبية هتاف هذا الدين، أو الاتجاه معه في طريقه .

حين يرون هذا فأنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها ما دام هذا الدين منزلاً من عند الله أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته. أو يصابون بالشك في الدين إطلاقاً !.

وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد أساسي : هو عدم إدراك هذا الدين وطريقته، أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة .

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية. يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية؛ وفي حدود الواقع المادي حينما يتسلم مقاليدهم.

ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة . [1]

عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية

في عصور التخلف والانحطاط تنازع المسلمين شعوران : شعور بالاستعلاء بما منَّ الله عليه بنعمة الإسلام ، وشعور بالذل والهوان بسبب قهر أعدائهم لهم وانتزاع أرضهم منهم ، وتفوقهم عليهم في شتى مجالات الحياة : عسكريًّا ، وعلميًّا ، وتكنولوجيا ، واقتصاديًّا ..

وتولَّد عن هذا الصراع النفسي منهجان للتفكير : أحدهما يرد ضعف المسلمين إلى بعدهم عن دين الله وعدم أخذهم بأقوال السلف ، والثاني يرى عكس ذلك فهو يرى أن التمسك بالدين هو سبب ضعف المسلمين وانحطاطهم حضاريًّا .

وتبنى وعاظ الدين الرأي الأول الذي يرى أن كل بدعة ضالة وأن الوقوف عند حدود ما أبدعه السالفون نجاة .

وتبنى العلمانيون المستغربون الرأي الثاني الذي يرى أن كل قديم تخلف ورجعية حتى وإن كان دينا وأنه لا إيمان إلا بما يقوله العلم الحديث الذي آمن به الغرب المتقدم .

أما المفكرون المستنيرين الذين فهموا الإسلام على أنه نظام شامل دين ودنيا ، مأثور ومعقول ، إيمان وعمل لا كما يفهمه وعاظ الدين الرجعيون على أنه نقل لا عقل فيه ومأثور لا فقه فيه وثبات لا تطور فيه !! وأن الإسلام يجعل العلم – بمفهومه الشامل – فريضة وأنه لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية .[2]

---

(1) سيد قطب " هذا الدين " ص ٥ ، ٦

(2) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر " ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية " للؤلف مكتبة مدبولي .

ودار الصراع بين هؤلاء وأولئك رمى فيها وعاظ الدين العلمانيين بالكفر والخروج من الملة ، ورمى فيها العلمانيون وعاظ الدين بالجهل والتخلف والخروج من العلم .

أما المفكرون المستنيرون فقد صُبَّت عليهم لعنات هؤلاء وأولئك فهم في نظر الوعاظ خارجون عن أقوال السلف مبتدعون في أمور الدين ، وهم في نظر العلمانيين هم والوعاظ سواء بسواء : متخلفون رجعيون .

يقول المؤرخ الغربي "توينبي" عن حال المسلمين حيال النهضة الغربية إن المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : إحداهما يسميها النزعة الهيرودية ، وينسبها إلى هيرود ملك اليهود الذي قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان في السكن ، والملبس ، والمعيشة .

والأخرى نزعة الغلاة وينسبها إلى نسَّاك إسرائيل الذين كانوا يصرُّون على القديم وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ويعلق العقاد على كلام توينبي قائلاً : " ولو أراد الأستاذ " توينبي " أن يتوسع في الأمثلة لعمم القول على الطبيعة الإنسانية في مواجهة كل حديث ، ومقابلة كل تغيير .

ونحن في العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة ، كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الأوربية بالنزعتين معًا أو نتوسط بينهما ، تارة مع المحافظة ، وتارة مع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعًا كانت على اختلافها الذي نشهده اليوم في تاريخ كل دعوة ومواجهة كل تغيير " (١)

(١) عباس محمود العقاد " الإسلام والحضارة الإنسانية " ص ١٥٧ نهضة مصر .

وفي حين تمكن اليهود من التخلص من أفكار الجيتو التي أوردتهم المهالك ، والخروج من الجيتو نفسه والاندماج في النهضة الأوروبية والتحالف معها ضد الخلافة العثمانية ، ظل المسلمون العرب في صراع طاحن حول هذه الأفكار حتى يوم الناس هذا !

معجزة إسرائيلية أم مخطط غربي ؟

إن قيام دولة إسرائيل لم يكن بفضل إخلاص اليهود الصهاينة لها فحسب إنما كان الفضل الأكبر في قيام دولة إسرائيل هو المخطط الغربي الذي يُعرف بالصهيونية .

إن لكل حركة أو تنظيم أهداف يسعى لتحقيقها ولما كانت الصهيونية تقوم على الفكر الغربي العلماني الاستعماري الذي يهدف إلى التخلص من العناصر اليهودية المنبوذة بتوطينهم في فلسطين لذا جاءت أهداف الصهيونية في صالح الغرب المسيحي الاستعماري ومن تحالف معهم من اليهود الرأسماليين وليس في صالح اليهود بعامة .

ولقد اعتقد الكثير أن الصهيونية حركة يهودية دينية ، وأن كلمة صهيوني مرادفة لكلمة يهودي والذي أوقع الكثير في خطأ قصر الصهيونية على اليهود فقط أن أشهر الأسماء التي ارتبطت بالصهيونية السياسية كانت يهودية مثل : تيودور هرتزل ، اللورد روتشيلد ، حاييم وايزمان ، ناحوم جولدمان ، بن جوريون والدارس لحياة هؤلاء الأشخاص وغيرهم من اليهود الصهاينة يتضح له أنهم جميعًا ينطلقون من أيديولوجية علمانية غربية لا تحركها إلا دوافع مادية نفعية لا دينية ولقد واجه هؤلاء الصهاينة اعتراضات كبيرة من اليهود المتدينين .

أهداف الصهيونية العالمية

إن نظرة إلى أهداف الصهيونية التي تحققت يتبين لنا جليًّا لمصلحة من كانت الحركة الصهيونية تهدف ، ويمكن أن نجمل أهداف المخطط الصهيوني في الآتي :

١- تخلص الغرب من مشاكل اليهود على كافة المستويات : القومية ، والسياسية ، والاقتصادية ، تلك المشاكل التي باتت تهدد النهضة الغربية .

٢- نقل دور اليهود كجماعة وظيفية كانت تقوم بدور تسخير الطبقات الشعبية الدنيا لصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة إلى فلسطين لتسخير العرب لتحقيق المصالح الغربية الاستعمارية التي تتمثل في :

أ- السيطرة على موارد العرب الطبيعية وخاصة البترول الذي يعد أمرا حيويا لمنظومة الصناعة في الغرب .

ب-السيطرة على الأسواق العربية التي تعد أهم المنافذ لتسويق السلع الغربية (من الإبرة للصاروخ) .

ج- استثمار رأس المال الغربي في البلاد العربية التي تعد أصلح المناطق لاستثمار هذه الأموال نظرا لتوفر العمالة الماهرة الرخيصة ، والموارد الطبيعية ، والقرب من منافذ تسويق السلع المنتجَة .

٣- تمزيق الخلافة الإسلامية ، وضرب المشروع العربي الإسلامي الذي بدأه محمد على والذي بات يهدد أوروبا والعمل على إجهاض أي مشروع عربي أو إسلامي مزمع قيامه .

٤- العمل على تحقيق النبوءة المسيحية بالخلاص ونزول المسيح المخلص والتي لا تتم إلا بقيام دولة صهيون في أرض الميعاد .

٥- إبادة اليهود وغيرهم من غير المسيحيين " فما تضمره المسيحية الإنجيلية، أو المسيحية الصهيونية أو الصهيونية المسيحية هو دعوة اليهود إلى العودة إلى أرض الميعاد – فلسطين - تمهيداً إما لتنصيرهم أو لإبادة معظمهم . " (١)

(١) حوار مع المسيري " قناة الجزيرة " .

هذه هي أهم أهداف الصهيونية وهي في عمومها تصب في صالح الغرب المسيحي في المقام الأول والأخير .

إن الدولة الصهيونية، في واقع الأمر، ما هي إلا أداة في يد الاستعمار الأمريكي على وجه الخصوص، والغربي على وجه العموم، وهذا هو العدو الحقيقي الذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيُحوِّله إلى سوق ومصنع، والدولة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل ... ولعل موقف بلفور (وكل الصهاينة من غير اليهود) هو خير تعبير عن هذا الموقف الذي ينم بلا شك عن تسامح مع اليهود حيث وقف إلى جوارهم حتى أعلن الوعد المعروف باسمه عام ١٩١٧. ولكن من الواضح أن تسامحه هذا نابع من رغبته في وضع اليهود في خدمة المصالح الإمبريالية البريطانية بحيث يحولهم إلى أداة لقمع العرب واغتصاب أرضهم. ومن ثم، نجد أن بلفور المتسامح هو نفسه الذي حاول أن يوقف هجرة يهود اليديشية إلى إنجلترا، واستصدر من القوانين ما يكفل ذلك حينما كان رئيساً للوزراء. فكأن تسامحه مع المشروع الاستيطاني الصهيوني تعبير عن رغبته الصادقة في التخلص منهم وتوظيفهم. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن نابليون بونابرت وغيره من الزعماء الغربيين ممن أبدوا تسامحاً كبيراً تجاه اليهود." (١)

الدليل على خضوع إسرائيل للمخطط الغربي الإمبريالي

ودونك هذه الأدلة التي تؤكد فكرة تبعية الدولة الإسرائيلية للمخطط الغربي الإمبريالي وليس العكس :

١- فكرة الصهيونية السياسية فكرة غربية مسيحية وليست فكرة يهودية بل إن معظم الحاخامات رفضوها وناصبوها العداء ؛ لأنهم وجدوها قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٣ . مرجع سابق .

وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب.

٢- رفض أمريكا ومعظم دول أوربا فتح أبوابها لليهود أثناء المرحلة النازية التي عملت على إبادة أعداد كبيرة من اليهود ، بسبب سوء حالة الاقتصاد الأمريكي آنذاك والخوف من تسلل الجواسيس الألمان لأمريكا ففضلت أمريكا مصلحتها الاقتصادية والأمنية وأغلقت الأبواب في وجه اليهود .

٣- إسراع أمريكا بالاعتراف بدولة إسرائيل فور إعلانها رغم أن اللوبي الصهيوني آنذاك كان ضعيفا في مقابل اللوبي اليهودي المعادي للصهيونية الذي كان لا يزال قويًّا إذ كان يضم عددًا كبيرًا من أثرياء اليهود المندمجين ، وهذا يعني أن المصالح الأمريكية هي ما تسعى أمريكا لتحقيقه بغض النظر عن أية ضغوط يهودية أو إعلامية .

٤- حينما تصرفت إسرائيل دون إذن من أمريكا ، ودون مراعاة لمصالحها في حرب السويس سنة ١٩٥٦م أجبرت أمريكا إسرائيل على الانسحاب من سيناء التي كانت قد احتلتها . إذ أن المصلحة الأمريكية آنذاك كانت تقضى بإجلاء الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) من منطقة الشرق الأوسط لتحل محله .

٥- لم تقدم إسرائيل على القيام بحرب ٥ يونيو ١٩٦٧ إلا بعدما أن أضاءت لها أمريكا الضوء الأخضر لأن السياسة الأمريكية آنذاك كانت تريد التخلص من جمال عبد الناصر الذي أدخل عدوها اللدود الاتحاد السوفييتي في المنطقة ، والذي عملت سياسته على زيادة نفوذه فيها ، ومحاربة المصالح الأمريكية عن طريقه .

٦- شهدت الفترة من ١٩٦٧- ١٩٧٤ تنامي العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في فترة حكم نيكسون الذي لا يُكنُّ حباً خاصاً لليهود .

٧- ضغط أمريكا في عهد كارتر على ساسة إسرائيل لتوقيع معاهدة السلام وإعادة كل سيناء لمصر والتعهد باستمرار المفاوضات من أجل سلام شامل في المنطقة وإعادة كل الحقوق لأصحابها لكن حكام العرب – عدا الرئيس السادات – قد فوتوا على أنفسهم فرصة ذهبية يصعب تكراراها .

٨- إن سياسة إنجلترا أكثر اقترابًا من السياسة الأمريكية وأكثر دعما لإسرائيل رغم الضعف الشديد للجماعة اليهودية في انجلترا ، في مقابل أن سياسة فرنسا أكثر ابتعادا عن السياسة الأمريكية رغم أن جماعة اليهود في فرنسا تعدادها ٧٠٠ ألف يهودي وهي جماعة ذات نفوذ قوي في الإعلام وغيره . مما يؤكد أن الجماعة اليهودية في الغرب لا تأثير لها يذكر في المخطط الغربي الاستعماري بل هم يمثلون أحد أدوات هذا المخطط .

٩- وقوف أمريكا في وجه إسرائيل حينما حاولت الاستقلال النسبي عنها وظهر هذا جليًّا في قضية " جوناثان بولار " الأمريكي اليهودي الذي تجسس لحساب إسرائيل ، وكان رد الفعل المؤسسة الأمريكية حاسمًا ، إذ قبض على بولار وأدخل السجن لمدة عشرين عاما وأجري تحقيق في إسرائيل لتحديد المسئولية ، كما أن الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة ثارت ثائرتها ضد إسرائيل ، ورفض كل من بوش ، وكلينتون العفو عن بولار رغم إلحاح اللوبي الصهيوني في ذلك .

كذلك رفض أمريكا السماح لإسرائيل بإنتاج " طائرة اللافي " محليًّا في إسرائيل وبمساعدة أمريكية .

١٠- أثبتت حرب الخليج الثانية (التي بدأت بالاحتلال العراقي للكويت) بما لا يدع مجالا للشك أن إسرائيل لا تتحرك إلا في إطار المصالح الغربية وليس في إطار المصالح اليهودية أو الصهيونية ، فإسرائيل قد أعدها الغرب للقيام بالدور العسكري لصالح الغرب في المنطقة العربية ، وكانت إسرائيل تأمل أن تقوم بدورها

في حرب صدام حسين خاصة أنه هددها بحرقها بسلاحه الكيماوي قبل غزوه للكويت بزمن ، لكن جاء قرار أمريكا بعدم مشاركة إسرائيل في هذه الحرب حتى لا تستثير حفيظة الشعوب العربية الكارهة لإسرائيل ضد أمريكا وحلفائها ، وتتعاطف مع صدام الذي سيظهر بدور البطل العربي الشجاع الذي يحارب أمريكا وإسرائيل . وقد حاول صدام أن يستثير حفيظة إسرائيل لدفعها في الدخول في المعركة ليكسب تأييد الشعوب العربية فضربها بعدة صورايخ " سكود " ، ولكن إسرائيل وبضغط من أمريكا لزمت الصمت ، وامتثال إسرائيل لأوامر أمريكا في هذا الظرف يؤكد مدى ذكاء اليهود الصهاينة في معرفة قواعد اللعبة السياسية ، بعكس كثير من حكام العرب وعلى رأسهم صدام حسين . ([1])

حقيقة المعجزة الإسرائيلية

لقد ظهرت الصهيونية كحركة مسيحية غربية استيطانية تعمل على استغلال اليهود لتنفيذ المخططات المسيحية الغربية لذا عمدت الصهيونية إلى تمويل ما يطلق عليه " المعجزة الإسرائيلية " على المستوى الاقتصادي ، وعلى صعيد التسليح أيضًا (بما في ذلك التسليح النووي) مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذي نجح في أن يقضي على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهي كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التي انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين . ([2])

لقد قامت الصهيونية العالمية بالعمل على قيام دولة إسرائيل وتوفير كافة السبل لبقائها ، والعمل على الحفاظ على تفوقها على جميع الدول العربية على كافة الأصعدة .

([1]) لمزيد من التفاصيل حول تبعية اليهود للمخطط الغربي وليس العكس الرجوع إلى كتاب " اليد الخفية " د. عبد الوهاب المسيري الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الفصل الخاص باللوبي اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية .

([2]) عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٠

وكان اختيار فلسطين لإنشاء هذه الدولة اختيارًا عبقريًّا فإسرائيل في هذا المكان تتمتع بموقع استراتيجي فريد على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا وهي نفس الميزة التي تتمتع بها مصر .

كما أن إسرائيل ذات موقع اقتصادي مهم في قلب هذا الجزء من العالم الذي يحوي نصف بترول العالم عصب التنمية (بالمعنى الغربي) وهناك أيضًا تلك الأسطورة اللاهوتية عن شعب الله المختار والتي تستخدم لتغطية أطماع الغرب في الموقع الاستراتيجي والموقع الاقتصادي لإسرائيل ، وتضع تجاوزاتها بل وأخطاءها فوق أي قانون وأي عقوبة بشرية باعتبار أن كل ما تفعله هو تنفيذ لإرادة الله ، ولذلك أصدرت الأمم ١٩٢ قرارا ضد إسرائيل لم تنفذ منها قرارًا واحدًا ، إنها تعتبرها جميعها كما قال جميع رؤساء إسرائيل (حبرًا على ورق) . (١)

المساعدات الغربية لدولة إسرائيل

ونكتفي في هذا الفصل بذكر المعونات الاقتصادية والعسكرية التي وفَّرتها الصهيونية العالمية لقيام دولة إسرائيل .

أن مجموع المساعدات الأمريكية لإسرائيل إضافة إلى التعويضات الألمانية والجباية اليهودية منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٩٦ ما يزيد عن ١٧٩,٤ مليار دولار، موزعة بين ٧٩,٦ مليار دولار مساعدات حكومية أمريكية متنوعة، ٦٠ مليار دولار تعويضات ألمانية ، ١٩,٤ مليار دولار جباية يهودية ، ٢٣,٤ مليار دولار أصول أجنبية في إسرائيل. وحتى إذا استبعدنا الأصول الأجنبية الموجودة في إسرائيل على اعتبار أنها قد توطنت فيها لاعتبارات اقتصادية (وهو أمر غير صحيح لأنها كانت دائماً دولة في حالة حرب أو توتر ولا تغري أي مستثمر بتوطين الاستثمارات فيها) فإن المساعدات الخارجية المعروفة التي تلقتها إسرائيل منذ إنشائها عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٩٦ قد بلغت نحو ١٥٦ مليار دولار بالأسعار الجارية

(١) سعد الدين وهبة من مقال " إسرائيل عارية " بجريدة الأهرام .

على مدى سنوات تلقي إسرائيل لها، وهي توازي ما يزيد عن ٤٥٠ مليار دولار من دولارات الوقت الراهن .

وهناك مساعدات تحصل عليها إسرائيل في ظروف معينة مثل ما حصلت عليه عند التوقيع على معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩ لتعويض ما فقدته، فحصلت على : بناء مطارين في النقب يعمل في كل منهما سربان أثناء العمليات بواسطة سلاح المهندسين الأمريكي، وتعزيز البنية الأساسية لقواعد بحرية وإنشاءات عسكرية ومراكز تدريب وثكنات، والحصول على معدات وأسلحة لتحديث قواتها، وبناء مدارس عسكرية، وبناء مخزنين في كل قاعدة جوية في النقب بهما قطع الغيار اللازمة، وهي تعمل بطريقة أوتوماتيكية بحيث يكفي ٣ أشخاص لتشغيل وإدارة كل مخزن، وقد تكلفت هذه الإنشاءات والمعدات ما يقرب من٣,٢ مليار دولار، والغريب أن كل معدات سلاح المهندسين التي قامت ببناء هذه الأبنية أعطيت منحة لإسرائيل.

علاوة على ذلك فإنه لا يمكن حصر المساعدات غير المنظورة التي تُعطَى للكيان الصهيوني، مثل هجرة العلماء إليها، فمثلاً يُقال إن معظم أعضاء قسم رسم الخرائط في الجيش البولندي هاجروا إلى إسرائيل بعد عام ١٩٦٧، كما أن كثيراً من العلماء اليهود يجرون تجاربهم في معامل جامعاتهم في الولايات المتحدة، ثم يعطون نتائجها لإسرائيل. وهذا شكل من أشكال المعونات يصعب حسابه .

ويمكن رصد أنواع أخرى من المساعدات غير المباشرة. ففي مجال الصناعات الحربية تسهم الولايات المتحدة في مشروع إنتاج الصاروخ "حيتس أو السهم" الإسرائيلي المضاد للصواريخ رغم تكرار فشله (وكذلك الحال مع الطائرة لافي من قبل). وفي مجال نقل التكنولوجيا نجد أنه رغم أن الولايات المتحدة تفرض قيوداً صارمة على عملية النقل هذه إلا أنها لا تُطبَّق على إسرائيل، التي تستخدم في صناعاتها الحربية معدات تكنولوجية أمريكية .

وتشير بعض الإحصاءات إلى أن ٣٦ % من الصادرات الإسرائيلية تحتوي على نظم أمريكية، ولذلك فإنه لو طُبِّقت القيود الصارمة على تصدير التكنولوجيا التي في حوزة إسرائيل لدولة ثالثة لأصيبت صادراتها بضربة قاسية .

وهناك نوع آخر من المساعدات غير المباشرة وهو فتح الأسواق الأمريكية للصادرات الإسرائيلية، وكذلك ما يُعرف بـ «الأسواق المتروكة»، وهي أسواق لا تستطيع الولايات المتحدة التورط فيها بطريقة مباشرة مراعاةً لمصالحها العليا، الأمر الذي يجعلها تلجأ إلى إسرائيل لملئها مؤقتاً مثل أسواق ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية أو أسواق بعض النظم العنصرية مثل نظام جنوب أفريقيا السابق . (١)

وفيما يتعلق بالمبالغ التي دفعتها ألمانيا لدولة إسرائيل سأعطي الكلمة لمن كان المفاوض الرئيسي لقيمة التعويضات ، السيد ناحوم جولدمان الذي أورد تفاصيل ذلك في سيرته الذاتية ، التي يقول فيها : " في أوائل عام ١٩٥١ دخلت إسرائيل الحلبة لأول مرة بتوجيه مذكرتين إلى الحلفاء الأربعة بخصوص المطالبات اليهودية بالتعويضات من ألمانيا الجديدة والتي بلغت مليار ونصف مليار دولار ، نصفها من ألمانيا الغربية والنصف الآخر من ألمانيا الشرقية .

وقام هذا المبلغ على الأساس الآتي :

استقبلت إسرائيل خمسمائة ألف يهودي تقريبًا ، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحو ثلاثة آلاف دولار . ونظرًا لأن إسرائيل هي التي أنقذت هؤلاء الضحايا من براثن النازية ، وتكبدت تكاليف مالية باهظة ، فقد رأت أنها في حل من فرض هذه الطلبات باسم الشعب اليهودي ، رغم أن هذا لا يقوم على أي أساس قانوني ، وذلك لأن الدولة اليهودية لم يكن لها وجود عند قيام النظام النازي .

(١) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " المعونات الخارجية للدولة الصهيونية الوظيفية " . مرجع سابق .

وكانت الدفعات الألمانية عاملاً حاسمًا في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام ، وكنت لا أدري ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديدية ، والتليفونات ، ومنشآت المواني ، ونظم الري ، وفروع بأكملها من الصناعة والزراعة ، ما كانت ستصبح على ما هي عليه الآن بدون التعويضات الألمانية . وأخيرا تلقي مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بموجب قانون التعويضات .

وفي صبيحة يوم وصولي إلى تل أبيب قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بن جوريون الذي استقبلني وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية وهو يقول : " لقد كان لي ولك حظ في أن نحيي معجزتين : إنشاء دولة إسرائيل ، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا . كنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى ، وأنت (أي ناحوم جولدمان) عن المعجزة الثانية " [1]

وفي كتاب آخر من كتبه " التناقض اليهودي " لا يحكي جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب بل والكيفية التي ابتزَّ بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها "راب" فقد قال للمستشار : يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود ، ويرد عليه المستشار : ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان ! واستطرد جولدمان قائلاً : في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور لعرض السينمائي في فيينا وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذي يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فيينا في مارس ١٩٣٨م .

وعندئذ قال " راب " : موافق ستأخذون أموالكم !

وكانت هذه الأموال في حدود ٣٠ مليون دولار . وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال : يجب دفع ٣٠ مليون أخرى !

([1]) ناحوم جولدمان " السيرة الذاتية " باريس ١٩٦٩ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٩٧- ١٩٩ .

فقال راب : لقد اتفقنا على ٣٠ مليون فقط .

فرد عليه جولدمان : الآن يجب أن تقدموا أكثر .

وحصل عليها . ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ .

فبالإضافة إلى " التعويضات " تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حد لها من الأسلحة والأموال التي تأتي أساسا من الولايات المتحدة حيث يلعب اللوبي اليهودي دورًا فعَّالا في ذلك ، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء الشتات .

وكشف بنحاس سابير وزير المالية أثناء مؤتمر الملياردريرات اليهود الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧ ، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩- ١٩٦٦ مبلغ قدره (٧) مليارات دولار .[1]

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط مليار دولار لإسرائيل (وكانت هذه المساهمات تعتبر مساهمات خيرية وتخصم من ضرائب المانح أي أنها تقع على عاتق دافعي الضرائب الأمريكيين) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتي من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتي ارتفعت معونتها إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويًّا ، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦م تفاديًّا لانتقادات الجمهور .

ويكفي أن نذكر هنا أن معونة " مشروع مارشال " المقدمة إلى أوروبا الغربية في الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار ، أي أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه مائتي مليون أوروبي .

---

(1) الأيكونوميست الإسرائيلي سبتمبر ١٩٦٧ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٠

وعلى سبيل المقارنة أيضًا فإن المليارات السبعة التي حصلت عليها إسرائيل في ثمانية عشر عامًا كمنح ، وتمثل ما يزيد على مجموع الدخل القومي السنوي للعمل في كل البلاد العربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) الذي بلغ في عام ١٩٦٥ ، ستة مليارات .

وإذا أخذنا في الاعتبار المساهمة الأمريكية وحدها ، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلي ، ٣٦ دولارا لكل عربي !! (١)

وباختصار يكفي رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع " المعونة " الرسمية الأمريكية التي تتلقاها إسرائيل وحدها يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار للفرد أي كبقشيش يضاف إلى دخله القومي ، وهو ما يزيد ثلاث مرات على إجمالي الدخل القومي للفرد في مصر ، وفي معظم البلدان الأفريقية .

إسرائيل مشروع استثماري غربي

إذن قيام دولة إسرائيل لم يكن معجزة أو عملاً استثنائيًّا في التاريخ إنما هو مشروع استثماري غربي شارك فيه عديد من الدول. فقد وضع أسسه إنجلترا وساهم في تمويله ألمانيا والنمسا ، وأتمت بناءه واستغلاله الولايات المتحدة الأمريكية ، وعليه فإن هذا المشروع الاستيطاني المسمى " دولة إسرائيل " ما كان له أن يتم بجهد اليهود وحدهم إنما تم بفضل المعونات الغربية ، وسوء السياسة العربية .

والحقيقة أن اليهود ليسوا إلا جماعة وظيفية استعملها الصليبيون الجدد لتحقيق أهداف استعمارية معتمدين على ضعف العرب ، وتخلفهم ، وتفرق كلمتهم .

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش عن رأيه في الدولة الصهيونية قائلاً : " إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه " وذلك لسببين هما :

(١) جورج قرم " مالية إسرائيل " ١٩٦٨ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية مرجع سابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

١- المصيبة كلها نشأت من أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

إن القومية هي تدمير لجوهر الإنسان " ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشًا، ولكنها جيش يملك دولة .

٢- ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة .

الأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمريكيين في زي التساحل (الجيش الإسرائيلي) وإن قوة الكلمة اليهودية تأتي من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يلفها والدولارات التي تبطنها . (١)

لقد استمرَّت المساعدات الخارجية لإسرائيل في تدفقها على مستوى عال وذلك لأن المانحين قد استفادوا بنفس الدرجة – على الأقل – التي استفاد بها الممنوحون وأن هذا لينطبق بوجه خاص على كل من يهود أمريكا وحكومة ألمانيا الغربية .

أما يهود أمريكا فقد داخلهم شعور من خلال تزويدهم للحكومة الإسرائيلية وللمؤسسات الإسرائيلية وللأفراد الإسرائيليين بأنهم إنما يشاركون في إنجازات عظيمة كما أنهم وجدوا في ذلك معاني جديدة للكرامة الشخصية وفرصًا للنشاط الخلاق .

وأما حكومة ألمانيا الغربية فقد حصلت على غفران جزئي عن الجرائم البشعة التي اقترفها النازيون وقد مكنها ذلك من الحصول على مساعدات اقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية ومن النجاح في خططها الرامية إلى تطوير اقتصادي سريع ، كما مكنها من الانضمام تدريجيًّا إلى المجتمع الدولي . (٢)

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٢) أنطون . ب. زحلان " العلم والتعاليم العالي في إسرائيل " ترجمة محمد صالح العالم مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع دار الهلال ص ١٢ .

وقد أصبحت إسرائيل نتيجة هذا الدعم المستمر بلداً كل ما فيه مموَّل أو مُدْعَم من الخارج : حمام السباحة في النادي، معمل قسم الطفيليات في الجامعة، مشروعات إعانة الفقراء، المتحف الذي يذهب المواطن لزيارته، بل حتى البرامج الإذاعية التي يسمعها. وبطبيعة الحال الجيش الذي يدافع عنه، والوجبة التي يتناولها. إن مثل هذا الوضع يقوض دعائم الأخلاقيات الاجتماعية وأي إحساس بالعزة القومية. والصهيونية تستمد شرعيتها أمام اليهود من ادعائها أنها حولتهم إلى شعب له كرامته القومية مثل كل الشعوب .

وقد بدأت الحكومة الأمريكية تتدخل في السياسات الداخلية للمستوطن الصهيوني وبخاصة الشئون الاقتصادية والعسكرية، وأصبحت هذه السياسات يتم تقريرها على أمل أن تحوز إعجاب واشنطن . وهذه قضية تثير قلقاً عميقاً داخل المُستوطن الصهيوني . وكما قال ييجال يادين : " إن المعونة الأمريكية تشكل الخطر الأساسي على مستقبلنا الروحي". ولكن لا يوجد حل ولو نظري لهذه المشكلة في الوقت الحاضر على الأقل .

والمعونات الخارجية أدَّت إلى ظهور بعض الظواهر الفريدة في المجتمع الإسرائيلي. فالمعونات الألمانية - على سبيل المثال - خلقت بشكل فجائي فوري طبقة من الإسرائيليين الأثرياء (من أصل أوروبي) تمكنوا من الانتقال من الأحياء الفقيرة إلى أحياء أكثر ثراء، وغيَّروا أسلوب حياتهم بشكل كامل. هذه النقود السهلة (كما يسمونها)، أي النقود التي لم يكدَّ أحد من أجلها، تُعرِّض المجتمع لهزات اجتماعية وتُولِّد فيه التوترات .

ونتيجة المعونات ازداد عدد كليات الطب في إسرائيل بشكل غير طبيعي في بلد يوجد فيه فائض كبير من الأطباء الأمر الذي يتسبب في هجرة العديد منهم. وقد لخص أحد الرأسماليين الإسرائيليين أثر المعونات السلبي في المجتمع الإسرائيلي

بقوله: "إنه قد يضطر لإغلاق مصنعه لو زادت المنح الخارجية لإسرائيل، إذ أنها ستوزَّع على العمال الذين يمكنهم بذلك تحقيق دخل لا بأس به دون الحاجة للعمل"، أي أن المعونة تحوِّل اليهود إلى شعب طفيلي غير منتج مرة أخرى .

ونتيجة انسحاب اليهود من الأعمال الإنتاجية دخلت العمالة العربية كل مجالات الحياة وضمنها الكيبوتس الذي يستفيد منها بسبب انخفاض تكلفتها. وبدأت الأعمال الضرورية في الزراعة والبناء والمصانع تنتقل تدريجياً إلى أيدي العرب، وهناك فروع كاملة أو جزء كبير منها لم يَعُد موجوداً بين أيدي عمال يهود .

وفي أعقاب احتدام أزمة نموذج الصهيونية العمالية منذ منتصف الثمانينيات وظهور الدعوة لتطبيع الاقتصاد الإسرائيلي، تعالت الأصوات منادية بضرورة إعادة النظر في اعتماد إسرائيل على المساعدات الخارجية، وداعية إلى ضرورة تَوجُّه إسرائيل نحو جذب رؤوس أموال غير مسيَّسة عن طريق توفير مناخ استثماري أفضل لضمان تدفُّق رؤوس الأموال على إسرائيل سواء في شكل استثمارات أجنبية مباشرة أو استثمارات في حوافظ الأوراق المالية، عن طريق ما يُعرف بالوعاء الاستثماري للدولة أو صندوق الدولة الذي يتم تسجيله كشركة قابضة في إحدى البورصات ثم يقوم بإصدار أوراق مالية يتم تداولها في البورصات العالمية، على أن يقوم هذا الصندوق باستثمار حصيلة بيع الأوراق المالية في مجموعة من الشركات الإسرائيلية سواء عن طريق شراء أسهم وسندات هذه الشركات أو عن طريق الاستثمار المباشر (وهو ما تم بالفعل منذ عام ١٩٩٢ إذ تم إنشاء ما يُعرف بصندوق إسرائيل الأول).

وتبلورت هذه الاتجاهات بشكل احتفالي خلال الزيارة الأولى التي قام بها بنيامين نتنياهو إلى الولايات المتحدة عقب توليه الحكم. فقد شهدت هذه الزيارة - ولأول مرة منذ قيام دولة إسرائيل - إعلان رئيس وزراء إسرائيلي عن استعداده لبحث خفض

المعونة الأمريكية لإسرائيل بدعوى أن الاقتصاد الإسرائيلي وصل لمرحلة من التطور تغنيه عن المساعدات الخارجية! ونجاح إسرائيل في الاستغناء عن المساعدات الخارجية (التي مثّلت - إلى جانب موجات الهجرة لإسرائيل - إحدى دعامتين قام عليهما نموذج الصهيونية العمالية) يمكن أن يُعَد مؤشراً بالغ الدلالة على قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على تجاوز أزماته وإمكانية نجاح التطبيع على الأقل على المستوى الدولي . [1]

وإذا كان اليهود قد اجتهدوا في الاستفادة من المنح والهبات التي قدمت إليهم في إنشاء دولة قوية متقدمة فإن العرب مع الأسف لم يحسنوا استثمار مواردهم الطبيعية والبشرية .

ويقدر مصرفيون حجم الثروات الخليجية الفردية المستثمرة في الخارج فقط بنحو ١,٢ تريليون دولار موزعة على النحو التالي : ٧٠٠ مليار السعودية، ٢٦٦ مليار دولار الإمارات العربية المتحدة، ١٦٣ مليار دولار الكويت، بقية مجلس التعاون ٦٥ مليار دولار .

فماذا لو سُحبت هذه الأموال، بالإضافة إلى مليارات الدولارات التي يملكها عرب ومسلمون من مختلف أنحاء العالم ؟ وتم استثمارها في البلاد العربية ؟ [2]

هذه حقيقة أسطورة المعجزة الإسرائيلية نقولها لمن انخدع بالمشروع الصهيوني الغربي فظنوه معجزة إسرائيلية ، ونقوله للمتخاذلين من العرب الذين غرتهم قوة إسرائيل في حروبها مع العرب .

إن إسرائيل قوية بضعفنا ، وقادرة بعجزنا ، ومتقدمة بتخلفنا . ومتى يفيق العرب ويحسنوا فهم دينهم وإخلاص العبادة لربهم ، وإصلاح دنياهم باستغلال مواردهم

([1]) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " المعونات الخارجية للدولة الصهيونية الوظيفية " . مرجع سابق .

([2]) عبد الكريم حمودي . إسلام أون لاين ٢٩/ ١١/ ٢٠٠١ .

البشرية والطبيعية تبدو حقيقة الكيان الصهيوني على حقيقته ذيل ضعيف لقوى الشر الغربي الإمبريالي .

ونأمل أن يكون الربيع العربي بداية النهضة الحقيقية المبنية على الإيمان والعمل الصالح حتى يحقق الله تعالى لنا ما وعد .

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } [النور : ٦٥]

***